بسام وهيب برّاك

منسّق اللغة العربيّة في كلّيّة الإعلام / الجامعة الأنطونيّة

الاستثمار في اللغة العربيّة على مستوى الإعلام

مدخل:

الغَوصُ في بحرِ شجن لغتنا العربيّة هو غوصٌ في أشجان الأمّة بلدًا تلوَ بلدٍ وعاصمةً بعد عاصمة. ولأنّا نحمل في هذا البحث همّ استثمار اللغة العربيّة في لبنان وإعلامه، نركّز المعالجة على وطنٍ ما تَباهى يومًا إلا بلُغة كرّسها لغة دستوره يومَ انعتاقه من الاحتلال التركيّ فالاستعمار الفرنسيّ ، وأصرّ على ابتكار نشيدِه وشعاراتِه وكتابة حرّيّته بلغةٍ لم تنافسها في عُقر داره لغةٌ، ولا ارتقت معانيها وجرست ألفاظها وهزجت إيقاعاتها كاللّغة العربيّة.

هذا ما أورثه لبنانُ عشيّةَ استقلاله لشعبه وما قبل العشيّة بعقود. **فالرّابطة القلميّة (1) وعصبة الأندلس (2)** وأدباءُ النهضة كالأخطل الصغير و توفيق عوّاد وفؤاد سليمان– الصحافيّون الأوائل- نهضوا باللّغة بعد انحطاطٍ بعيد، وسمَوا بها من الجرائد والصحف والمجلات، وحرّروا بها في وجه الطغيان أوطانَهم، وعمّموها فوق رأس كلّ لبنانيّ حتى إذا ما أراد النطق بها التفتَ الى فوق مستلهمًا من الحروف والكلمات والعبارات ما جمُل وحسُن وارتقى .

نعم، من ذكرناهم أعلاه، وأندادُهم كثرٌ في مجال الحبرِ والأدب، هم الإعلاميّون بل الصحافيّون الطليعيّون، المحتضِنون اللغةَ في كلّ مقال وقولٍ وشأن ونصّ. يومَها لم يكنِ الشجنُ قد أصاب هيكلَ اللغة العربيّة، ولا انتهك حرمة جمالها الصامت- المتكلّم. فما كُتب محفوظٌ في ذاكرة مكتبات لبنان والمنطقة العربيّة، وهنا لا تأويلَ أو اجتهاد. لكنّ ما أوصل اللّغة- نعتمدها في هذا المؤتمر أمًّا جامعة- إلى حالٍ مَرَضيّة تتطلّب الإنعاش، لا سيّما في الإعلام، هو بذورٌ غيرُ طيّبة، وتوظيفٌ غيرُ سليم، وتعاملٌ جانبيّ لا يُلجأ إليه إلا حين تدعو حاجة عامّة لا خاصّة، ومناسبات سنويّة تجافي العلاقة اليوميّة المطّردة مع هذا الكيان الجوهريّ، أعني به اللغة، فاللغة كما **كتبت الناقدة اللبنانيّة مريم حمزة** (3) **" ليست مجرّد أحرف أو كلمات أو تراكيب، ولا مجرّد كلام نتلفّظ بهِ، أو أصوات نطلقها؛ إنما هي كيان وهويّة وانتماء، وثقافة وحضارة وتراث، وجذور ممتدّة في التاريخ. إنها كائن حيّ، ينمو وينشط إنْ تعهّدناهُ بالرعاية والإهتمام، ويتآكل وينقرض إنْ عاملناهُ بخفّة وإهمال."**

لذا، دعونا هنا نبحث عن مكمنِ الوجع لنوخز بإبرة الدواء داء الدّملة. فالمسألة ليست أن نحلّقَ ونحطّ في عاصمة عالية مشكورة لاحتضانها في أفيائها الأولى، الصحراء العربيّة، مؤتمرَ لغةٍ يندَى حنينا الى اللغة الأمّ، ويرنو للملمة شظايا الخطر من حولها بهدف استثمارها مستقبلا بدلا من الوقوف على طللها الماضي. المسألة هي أن نتساءل من أنّى أطبق علينا هذا الخطر المحدق بوسائل الاعلام ، بوسائل التواصل وجسور

الكلام مع جماهيرَ عربية تآخت و اللغة، وربِيَت عليها لتكتشفَ كلّما كبُر بها الزمن، أنّ علاقتها بلغة الضاد تصغر فتصغر حتى لتكادَ تمسي منسيّة في دُرجٍ يكسوه غبار الأيّام والفتور. وإذا -لا سمح الله- استمرّت المواربة الشعبيّة -لا النخبويّة- مع اللغة فالخسارة، حُكمًا، كبيرة. خسارة الفرادة والخصوصيّة والهُويّة واستقلال الذات. هذه الاستقلاليّة عزاها واحدٌ من كبار المفكّرين الى تثبيت القيادة والسلطة والقدرة على التحرّر من التّبعيّة، إذ اعتبر الفيلسوف الألماني (فيشته) (4): **"أينما توجَد لغة مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها".** ولملاقاة هذا الرّأي تكفي الإشارة الى دول عربيّة تراءى لها أنّها تزرع في تربتها ربيعَها بعد خريف حكّامها، فإذا به تهمل نفسها ولغتها وكتّابها وتراثها لتنصرف الى استيراد كلّ ما لا يشبهها ممّن شقوا لها دروب الرّبيع المشبوهة في الشارع والحكم ووسائل الإعلام.

ولِنبقى في الإطار اللغويّ - الإعلاميّ ، نجد أنّ من الواجب السير خطواتٍ الى الوراء للاستدلال الى ظروف حدَت بالعاملين في الإعلام لإحداث شرخ بين مضمون عملهم ولغتهم الأصل بل انفصامٍ مُريبٍ بين اللغة العربيّة في شقَّيها الصرف والنحو، ولغتِهم المفتعَلة في شقّها الإعلاميّ الصّرف، وكأنّ اللغة في حال وهم في حال أخرى، ما يستدعي بالفعل القلق على اللغة العربيّة ليس في لبنان فحسب بل في الأقطار العربيّة : **(5) " خوفي وعجبي من هذه العجمة وهذه الرطانة اللتين استشرتا في بعض الأقطار العربيّة، ومنها لبنان راعي العربيّة منذ قرون وقد حق لنا ازاء هذا الهجين اللغوي المقبل علينا في الشوارع والازقة والمحال والاعلام والاعلان، أن نتساءل: هل نحن حقا في بلاد عربية؟"** هكذا أعرب المؤلّف جبران مسعود صاحب معجم " الرّائد" عن قلقه العميق على لغة تمنح منذ خمسةَ عشر قرنًا البلادَ العربيّة هُويّتها، لا العكس.

فأين اللغة من كل هذا وهذه، وتيك وتلك؟ أين التعبيرُ السهل الممتنع، وكتابة خبرٍ خالٍ من الاخطاء، وجمعُ عبارات تطرب لها الأذن، وتوظيفُ مفردات ملائمة للخبر والنشرة والمقال والتحقيق والحدث والقِمم والمؤتمرات واللقاءات السياسية وحتى البث المباشر والبرامج بالفصحى؟ فمع كلّ تراجع تعليميّ يطالعُنا تردٍّ إعلاميّ، ومع كلّ استخفافٍ أكاديميّ باللغة العربية بل تربويّ في المدارس على مقاعد الطفولة نصطدم بضعف متراكم يوصلنا الى مرحلة عضّ الأصابع ، فنبحث مستصرخين عمّن ينقذنا ويعيد إلينا أصالة لغة تركناها، وها هي في انتظار مَن يدلّنا إليها على بُعد قريبٍ منّا في كتاب وقاموس وفكرة ومعنى.

ولتبيانِ الواقع الرّاهن وما ننشدُه على مستوى الاستثمار اللّغويّ في الإعلام، نفتح الباب على مصراعَي اللغة العربيّة : ما يصيبُها أكاديمّيا وما يضيرها إعلاميّا، ثمّ نستعرض جملة اقتراحات واقعيّة تحمل في طيّاتها مرتجى تظهيرِها وتفعيلها لتتحوّلَ مؤتمراتُ اللغة العربيّة الى أبحاث حول ما تَحقق، وليس ما نأمل تحقيقه، ويبقى معلّقا على أهداب الانتظار المُضني.

أوّلا: على مستوى الواقع :

أ-الواقع الأكاديميّ (التّربويّ)

نظرة متأنّية الى ما تلقّاه الإعلاميّون مسبقًا في دراستهم الجامعيّة الأكاديميّة تجعلُنا نلحظ أنّ حضورَ اللغة العربيّة في كلّيّات الإعلام يبقى خجولا قياسًا لِما تبذله إدارات الكليّات من جُهد لموادّ الصوت والصورة

والتوليف والمعلومات وتطوير طلابها تقنيًا ولوجستيًّا في أبحاثهم وجولاتهم على المؤسّسات الإعلاميّة، فينجم عمدًا، وأحيانًا سهوًا، بعدٌ بين الطلاب واللغة إلا إذا خُصّص لها في السنوات الدّراسيّة الثلاث وحداتٌ أساسيّة وحصصٌ وافية، وهذا ما لم نعاينه في إحصاء عامّ على أربع جامعات خاصّة في بيروت تدرّس الإعلام وتخصّ اللغة العربيّة من أصل مئة وَحدة دراسيّة تقريبا بثلاث وحدات او أربع كأقصى حدّ، تُعطى غالبا دفعة واحدة في فصل واحد.

وهنا، نلمس أنّ الأفواج الطالبيّة المقبلة على حقل الإعلام لا تحمل من عدّة اللغة ما يمكنّها من المرور بين ألغام هذا الحقل ومطبّاته بسلامة ، ولا الحفر عميقًا في مفرداته وعباراته وتراكيبه، ولا السقي من مناهل اللغة العربيّة، ولا ملء نقص أو حاجات طارئة تنتاب الطلبة- الإعلاميين الجُدد، وهم يطلّون عبر الأثير او في تغطية عاجلة أو في مقابلة ذات أهداف سياسيّة وثقافيّة.

مع تتالي هذه الدفعات الطالبيّة، بات من الملحّ رفدُها بأسسٍ لغويّة تُعنى بمعاجم الإعلام وتشكيل نصوصها لكي يُحسنوا التعبير ويصفّفوا الكلام ويدبّجوا العبارات ويطلّوا على الناس عبر المسموع أولا والمرئيّ ثانيًا ، بلفظٍ سليم وحضور راقٍ تزيّنهما لغة سليمةٌ سالمةٌ ومعافاة من شوائب اليوم وأمسه القريب، علّنا في أمدٍ قريب نستعيد مع بعضهم موقع هذه اللغة في الإعلام من دون أن نفقد الأمل. **وقد أمل المؤرّخ الثعالبي كثيرًا حين كتب (6) : " اللغة كلّما بدت معارفها تتنكّر أو كادت معالمها تتستّر أو عرض لها ما يشبه الفترة..ردّ الله تعالى الكرّة فأهبّ ريحَها بصدر من أفراد الدهر أديب ذي صدر رحيب وعزيمة راتبة ودراية صائبة يحرّك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها.ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها".**

فبالله عليكم، من أين نأتي بهذا الفرد ليعيدَ جماليّة اللغة ووقعها الى العامّة قبل الخاصّة . إنّ أبا عثمان لم يخطئ (7) في ما كتب بباب النقد اللغويّ: **ألمعاني مطروحة في الطريق يعرفها البدوي والعجمي والقرويّ، وإنّما الشأن في تخيّر اللفظ وإقامة الوزن وسهولة المخرج وصحّة الطبع وجودة السبك"** . صحيح أنّ كلامه أتى في سياق خوضه معارك نقديّة لدفاعٍ شرس عن نهجه في إشكاليّة اللفظ والمعنى ، إلا أنّنا نراه محقا ، فلا قاعدة من دون توظيف ولا كلمٌ من دون استثمار، ولا معلومة من دون معرفة إيصالها.

طلاب اليوم إعلاميّو الغد، لا يتلقّونَ حصص اللغة العربيّة بذات الاهتمام المحظيّة به الموادّ الأخرى ومع وحدات أقل من الموادّ الزّميلة باعتبارها للتذكير لا أكثر، عدا عن أنّ المتقدّمين للتسجيل في الجامعات إعلاميّا لا يخضعون لامتحان اللغة العربيّة بل الفرنسيّة أو الإنكليزيّة تبعا لمنهج الجامعة واتفاقيّات التّعاون مع جامعات غربيّة صديقة.

إنّ هذا المؤشر لَدليل دامغٌ على أنّنا أمام معضلة زرعِ جنين اللغة في أرحام رؤوس الطلبة ، إذ يُروَّج لهم أنّها رديفة، ويُوحَى عبرها للطالب أنه لن يحتاجها لبناء مداميك عمله الإعلاميّ إلا في تقارير معيّنة أو وثائقيّات محدّدة، بل حاجته الأمسّ هي الى الصورة ثمّ الصورة ، وما تتطلّبه من معرفة وقراءة للأضواء وما يحصده الإعلاميّون من الضوء. إنها بحق الصورة القاتلة. هي داء العَمى المبهِر طلابَ الإعلام المتسرّعين لنيل شهادة أشبه بجواز عبور الى الإعلام ، وجّل تركيزهم هو على الشهرة والأضواء، وأصابع تدلّ إليهم في الشارع والأماكن العامّة.

هؤلاء المتخرّجون في الجامعات هم سلفًا نتاجُ تعلّم في المدارس وفق منهج تربويّ متأرجح متخلخل بعد مرور ستّة عشر عاما على تعديل برامج التعليم الصادرة عن وزارة التربيّة- (**المركز التربوي للبحوث والإنماء**) من دون أي تعديل أو سعي للتّعديل وفقا لصعوبات ملموسة وهَناتٍ تتفاقم ، و بالرغم من هشاشة حوّلتِ اللغة العربيّة هشةً كغيمةٍ لم تَعُد تَعِدُ بمطر وخصب وزرعٍ مثمر.

ستّ عشرة سنة عبرت أي ستَّ عشرة دفعة من التلاميذ ينضمّ منهم الى كلّيات الإعلام كلّ سنة (عشرُهم) ما يعني تراكما لأزمة لغة عربيّة ظهرت وتظهر وستبقى تتظهّر في وسائل إعلام مرئيّة ومسموعة وحتى مكتوبة، كون هؤلاء لم يتلقوا لغة عربيّة متوازنة المضمون والشكل في مدارسهم المنشغلة بإفتاءات برامجَ تربويّة، فرضها المنهج الجديد مضيفًا إليها كفاياتٍ مستحدثة تواكب العصر، فيما الحصص المخصّصة للغة العربيّة هي الأقل في البيدر، وبتدرّج مثير للشفقة والغضب في آن. فبين المرحلة الأساسيّة والثانويّة شرخُ ساعاتٍ وفصول، وبُعد مضمون أدّى إلى إلغاء اللغة والبلاغة مادّة مستقلّة في الثانويّ أسوة بحفظ الأشعار وتذوّقها لتأتي امتحانات اللغة العربيّة الرّسميّة نموذجا لنمطيّة غربيّة لا تشبه هُويّة العالم العربيّ.

ولا ننسى أنّ العالم الورقيّ يكاد يُفتقد كي لا نجزمَ فقدانه. فتراجعُ موهبة تصفّح الكتب والقصص والرّوايات والاطلاع على كلّ جديد في المكتبة العربيّة قلّل من فرص المطالعة عند القرّاء فقطع صلة الرّحم تدريجًا بالمفردات والحواسّ والمعاني، وتحوّلت القراءة من رغبة في مجالسة الكتاب إلى عمليّة تقنيّة بحتة، تفترض البحث وتقتصر على الواجب بهدف تحصيل العلامة لنجاح سريع.

ممّا تقدّم، يفهم القاصي والدّاني سبب إنهاك الإعلام اللبنانيّ وانتهائه إلى متاهة لغة جديدة تُعتبَر وسطيّة تهرّبا من لغة عربية تصعبُ على الطارئين ،يطلقون عليها اسم " لغة بيضاء" إلا أنّها لكثرة التداول بها مالت إلى الرماد أو الاصفرار. فما معنى لغة بيضاء، وهل لغتنا التي نحن بصدد التبحّر بها في مجلسنا اليوم سوداء؟ وهل ضاقت الأمّة العربيّة وإعلاميّوها بلغةٍ ما ضاقت بها العرب لأكثرَ من أربعِ مئة سنة بعد الألف بل أضافت لها من حسن الكلام ما حسن، ومن مآثر اللغة ما أثر؟

هذه اللّغة البيضاء الموفّقة – كما يُفترض- بين الفصحى والعامّيّة المحلّيّة ليسمعها الناس في بيوتهم بارتياح ويُقبلوا على مختلف البرامج ، لم يحسنِ الإعلام استخدامَها بل هشّمها مسيئًا الى فصحاهُ بداية وما أراده شبيهًا بالفصحى ثانية، فتحوّلت المفاهيم وسقط الإعلام في فخّ لغويّ نصبه لنفسه. وهذا ما نتناوله في الجزء الثاني من مقاربة واقع اللّغة في الإعلام.

ب- **الواقع الإعلاميّ (العمليّ) :**

ب-1الخلفيّات:

تعود فورة إعلام اللغة البيضاء على حساب اللغة العربيّة الى فترة زمنيّة استحدثتها ظروف تعاضدت عليها السياسة والأمن والاقتصاد، بدءا من رواسب حرب أهليّة إنتهت مطلع التسعينيّات، فشرذمت لغة التخاطب بين الناس وعلى متاريس الإذاعات وجبهات الشاشة وصفحات الجرائد مشتتةً معها "الألف بائيّة" وأصواتَ

اللغة ومرسلتها مرورا بانفتاح علنيّ على الغرب بل الانتماء الى قواه العظمى ، وصولا الى عصف رياح الانترنت وما تلاه من مسلسل الشبكة الإلكترونيّة وأخواتها. وكأنّي باللبنانيّين أرادوا ان ينزعوا عنهم رداء الأمس، أبيضَ كان أم أسودَ، وذاكرة الأمس، جميلةً كانت أم دميمة، ووجّهوا حياتهم قِبلة أحوال متباينة كمريض يأبى الاستشفاء بعد طول مرَض فيرتكب ما يحلو له لينهيَ حياته.

هكذا،وقعت عروسُ الشعر والنثر ضحيّة انتفاضة اللبنانيين على أمسِهم وإعلامهم المأثور وبرامجهم ومسلسلاتهم التليدة الموثقة في **" تلفيزيون لبنان" (1959)** ، وكلاسيكيّة حياتهم وهمجيّتها في آن، فضحُّوا بكثير من خصائصهم وميّزاتهم العربيّة واللبنانيّة، وكان بين ما ومَن ضحوّا به " اللّغة العربيّة" . ولا نستخفّ بالنّص الجديد لشروط الإعلام الصادر عن المجلس الوطني للإعلام ، وما فرضه من محاصصات وتنوّع في مجالس الإدارات الإعلاميّة بين ابناء الطوائف غير القليلة في لبنان، وما تطلّبه من اللجوء الى أصحاب النفوذ والمال لتحصين المحطات لبنانيّة ودعمها ، فانحرف المسلك عن الهدف ووضعت شخصيّات تحصيها أصابعَ اليدين أيديها على الخطوط الإعلاميّة العريضة ، ونتج عن كلّ هذه الخلطة المشوّهة إعلام أقلّ ، وإعلان (مادّيّ) اكثر، ولغة عربيّة أشحّ ، ولهجاتٌ ولغات دخيلة، ظاهريّا، أغزر.

بهذه المشهديّة ، إنسحب الواقع المُمِضّ على اللغة العربيّة، وتُرجِم بعدم الوفاء لها في شبكة البرامج والنشرات و "أَلسَنةِ" لغة التخاطب بمعاجمَ ومفرداتٍ لا حولَ لها. يُفهم من ذلك، أنّ المشكلة المتفاقمة في التّعاطي مع اللغة العربيّة لم تأتِ من الإعلام الحديث ضربَ هوايةٍ بل بفعلِ عواملَ خارجيّة وداخليّة أحدثت خضّة في تركيبتة البنيويّة وعلاقته مع مجتمع تنصهر فيه مجتمعاتٌ غيرُ متآلفة تِبعًا للمناطقيّة واللكنة والمعاجم، وبالتالي بفعلِ توجّهاتها الفرنسيّة او الإنكليزيّة ، فضلا عن فرض الاتّجاهات السياسيّة والتلوّنات العصبيّة لغة معدّلة تتناسب وأساليبَ حث الجماهير على مدارسَ إعلاميّة حديثة منسوخة عن الغرب ضمن مشهد تخلّى عن الماضي ليتطلّع الى مستقبل مختلف أسوة بسائر القطاعات في لبنان .

هذه التبدّلاتُ التراجيديّة المتراكمة حملتِ المجدّدين على كسر ما يرونه طوقا تقليديا بل إرثا وعبئا ثقيلا من الأسلاف . وهنا تستوقفنا مقارنة لغويّة- أدبيّة للناقدة نازك الملائكة (8) في معرض تناولها التجديد والتقليد في بناء الشعر ولغته، أمكننا تطبيقها على الإعلام المتحرّر: **"ألِفنا أن نرى المجدّدين يسخطون ويرمون الجماهير العربيّة بالبلادة وقلة الابداع فيما يعتبر الجمهور العربي التحفظ صوت التماسك والاصالة في شخصيّة الامّة التي ترفض ان تنهار ازاء كل فكرة جديدة تعرض" .**

على هذا المنوال أخذ الاعلام الجديد العلنيّ ينأى بنفسه عن لغة فاضت أمواجُها من قلب الصحراء وارتمى زبدُها في المقلب الآخر من الدنيا على وجه الصفحات ، وراح يعيد تركيبَها بحلّة تليق بجسمه، فكان أن تشكّلت لغةٌ عربيّة مسلوخة عن لحمها وجلدها، ومسلوبةٌ فئةُ دمِها على مدّ العين والسّمع إعتمدتها الأجيال الطالعة مثالا من غير أن تعرف مهالكَها، ووظّفتها بما لا يتناسسب مع تاريخ اللغة العربيّة وموقعها في الذاكرة ووقعِها في المسمع والقلب.

ب- 2 توظيف اللغة العربيّة:

كتب الدكتور فهمي هويدي (9) **" مأزق اللغة العربية أوضح ما يكون في وسائل الإعلام، بحُسبان أنها تمثل الواجهة التي تعكس مختلف التفاعلات الثقافية والقيميّة في أي مجتمع. ولأنها كذلك، فإنها تؤدي أخطر الأدوار في الارتقاء باللغة العربية أو الحطّ من شأنها. "**

نعم قد يكون للّغة أعداء أكثرُ من وسائل الإعلام لكنهم يُجهلون ولا يدرَكون ، ولذا فإن استثمار اللغة العربيّة ومخزن مواردها الأصل، مركزيتُه وسائل الإعلام التي إن لم تَحيَ اللغة وتُحيِها فإننا سنجرّ خيبة لغتنا خلفنا، علمًا أنّ اكتساب اللغة يعني ممارستَها كما الرياضة كما الطعام كما القيادة كما الشراب. وهذا ما يجعلني أستشهد بما كتبته الد. حمزة (10) مرّة أخرى: **لسوء حظّنا في لبنان، كما في أقطار عربية أخرى، أن عاميتنا التي نتداولها، تبتعد كثيراً عن فصحانا؛ فلا يجد فيها طالب العربية ضالّتهُ المنشودة؛ وهذا ما يحصل لأبنائنا في صفوفهم المدرسية الأولى، إذ عليهم أن يتعلّموا اللغة العربية الفصحى وسط محيط تسودهُ عامية يكاد لا يربط بينها وبين الفصحى سوى مفردات لا تصنع بحدّ ذاتها لغة"**.

نورد هذا الكلام ونسترجع معه ما بلَغته اللغة من مقامات مرموقة يوم كانت حاجة ووسيلة تواصل وغاية في آن. أي يوم أُنزِلت في القرآن الكريم لغة دين وشعوب تحتاج الى صقل نظامِها وأساس حياتها ، ثم استُخدمت في الخطب حتّى اعتمادها ضادا بين الشعوب العربية ليتفاهموا ويتوافقوا بعيدا عن لهجات القبائل ولكنات محلّيّة كما نحن فاعلون اليوم، فصارت ميثاقا لأسواق الشعر والتجارة واجتماعات القوم ، والقضاء ، واستُخدمت لوضع أسس علميّة في العصر العبّاسيّ، . والكلام على لغة ضاد موحّدة بين العرب يقودنا الى تشبيهها أو تشبيه لغة الموسيقى بها ، فهذا الفنّ الخالد في العالم أجمع تراه يتفاهم ويتحاسَسُ ويتألسنُ بلغة "نوتات" تزيلُ الفروقات والالتباس بين مغنٍّ عربيّ وكاتب موسيقيّ من أقصى الدنيا الى أقصاها.

إنّ فعلَ تطوير اللغة ليس شأنَ اللغة نفسها بل شأننا نحن الأبناء والأحفاد والورثة. فالعلامة إبراهيم اليازجي أخذ على عاتقه تهذيب اللغة العربيّة وصقلَها استكمالا لما شرع به أبوه العلامة ناصيف اليازجي ، وعبّر في صرخة هادئة واعية قبل قرن كامل عمّا يعتملُ في قلب لغتنا من وجع اليوم (11): **" فإن كان ثمّة هرم فإنّما هو في الامّة لا في اللغة. إنّما هو عجزٌ في ألسنة الأمّة ومداركها...بقي الآن إمّا أن نسلّم بموت اللّغة وموت الآمال معها، وغمّا أن نستأنف العزم ونجدّد السّعي في إحياء ما اندثر منها. فكما تشخّص تأريخها وعلومها وعاداتها فإنّها تشخّص الامّة بنفسها، وبها يُشار إليها. "**

يعزّ علينا هذا الكلامُ فيما القيّمون على وسائل الإعلام يُيمّمون وجوههم شطر الغرب متناسين أهميّة اللغة في التعبير عن مادّتهم الإعلاميّة، مجتهدين في اختراع تِلكمُ البيضاء كما أسلفنا. وللتصويب ، نعتبر أنّ اعتماد هذه التسمية هو مأسسَة مختلّة التوازن للغة مشبوهة وسطيّة ، وإن وفت الحاجة يوما لخدمة واقع سوق العمل والإطلالات بالعاميّة عبر الشاشات والاذاعات، وشكّلت تنازلا موقتا للّغة، فإنها مع اتساع الوقت وسرعة العولمة، وتسارعِ هطول كلمات غربيّة غريبة عجزت عن توفير اللفظ الملائم لها في العربية متحوّلة الى ظلامة في حق لغة نسينا أهميّتها لفترة، ولولا ذلك لما استيقظنا من سبات اليوم، وعدنا نعيد ما تشرذم منها وتشتت وتشلأ بدافع جمع هيكلها وإيجاد نقطة ارتكاز لها في إعلامنا المحليّ والعربيّ ؟

وكي لا ننأى عن اعلام لبنان – محور البحث- يليق بنا التذكير بأننا وافدون من بلدٍ منارة أدبيّة وفكريّة لا حاجة لتعداد أسماء أعلامه من أحمد الشدياق وناصيف وإبراهيم اليازجيّان ، و **خليل مطران والأخطل الصغير وجبران جبران وميخائيل نعيمه و أمين الريحاني** إلى أعلام إعلامه، من غير أن ننسى **فنّ الرّحابنة (12)** وهو بحدّ ذاته وسيلة إعلاميّة لنشر اللغة والثقافة، فبجانب العاميّة اللبنانيّة وارتقاء اللحن والصوت بها، كتب الرحابنة نصوصا بالفصحى حفرا وتنزيلا للفظ والمعنى والإيقاع شكّلت عبورا جديدا للغة من المقروء الى المسموع الشجيّ بصوت الكبيرة فيروز . وهنا تلفتنا ظاهرة المبادرة الفرديّة ،لحسن الحظ، ومن خارج المناهج، ألا وهي الاتّجاه الى تدريس هذه القصائد وتحويل العاميّ الرحباني الى الفصحى وتوظيف المعاجم والقواعد والعَروض والموشّحات من خلال هذا الفنّ الرّاقي الذي لا تزال شاشة تلفيزيون لبنان وحدَها في لبنان تحييه يوميًّا صوتًا وصورة.

فإنّا لو كنا بصدد المفاخرة لَما كفتنا الصفحات لذكر أسماء إعلامية وأخرى ساهمت إعلاميّا من خمسين سنة ذهبية الى اليوم في تمجيد هذه اللغة بينها رياض شرارة، عادل مالك، سعاد قاروط العشي، ايلي صليبي، غابي لطيف، ميرللا يزبك، عرفات حجازي، صونيا بيروتي أنطوان الراعي، وللاسف انّ هؤلاء إمّا اعتكفوا إمّا أنَفوا إمّا إطلالاتهم استثنائيّة وإمّا رحلوا.

إنّما نحن هنا لوضع القلم على ظلم يلحق باللغة من بنيها اللبنانيين، ولإظهار واقع مملّ تتكدّر به اللغة الفصحى من التصرّف بها، بصكّ براءتها، عبر افتعال ما لا يشبهها ويشبه فطرتَها وبداهتها. فأينَنا من سليقة الشغف والتشاغف بالعربيّة ، إذ إن لم يزرع فينا بالفطرة وبالسليقة حب اللغة والتفاهم معها وبها ومن خلالها فعبثا يُطلب منا التكلّم بها واستخدامها. ويحضرنا **هنا أبو القواعد سيبويه** ، فهو لم يتلقّ اللغة كبيرا بل بالتناقل منذ الصغر فامتلكها وصارت صنعته وشغله واعتملت في عقله حتى دفق بها عقله الى يراعه ليقعّدها لا ليعقدها وليحفظها لا ليحفّظها في ذاكرات قد تنسى.

ولو اننا اعتمدنا سيبويه والمصطلحات النحويّة مراجع مكتوبة مدوّنة في المراكز الاعلاميّة يقرّها المتخصصون والإعلاميين شرعة -مقياسًا من مقاييس عملهم، لما غرقنا في متاهات الأخطاء لفظا وكتابة مع شيوع شريط الاخبار بإملائه الرّكيك أسفل الشاشات ما زاد اللّغة بليّة من الناطقين بها وكاتبيها ، وليس أمامنا إلا أن نحيل أرباب الأخطاء الى محمد العدناني (13) في معجم الاخطاء الشائعة وتوضيحه سبب وضعِ معجمه:" **شرعتُ أحقق في المعاجم لمّا تلقّفت الأخطاء الكثيرة من أفواه الخطباء ومذيعي الراديو والتلفيزيون، والمذيعون هم في طليعة موجّهي الشعب والمؤثرين فيه ادبيا ولغويا وقوميا واجتماعيا... إنني لا أرى المجد اللغوي أقل قيمة من المجد السياسيّ .لذا أنصح لجميع قادتنا أن يوجّهوا اهتماما كبيرا الى تقوية الفصحى والاقلال من العاميّة في الاعلام وضبط الكتب والمجلات بالشكل التام حتى تصبح صحة اللغة ملكة لدى القراء."**

هذا الكلام للعدناني لا يلقى صداه ، وبدلا من ان يعتمد الإعلاميّون الاقربَ الصحيح، ذهبوا الى الاقرب ليوميّاتهم، وهنا الخطأ الجسيم. وبدلا من الاستمرار في موجة ترجمة المسلسلات للأطفال بالفصحى ليكتسبوها منذ الطفولة كما كان السندباد وغرانديزر وكابتن ماجد بأصوات وحيد جلال جهاد الاطرش خالد السيد وجوزيف نانو وسواهم، والمسلسلات المكسيكية لاحقا... رأينا أنّ الشهيّة الى الفصحى ماتت أو أميتت

ليُستعاضَ عنها بعامّيّات وليس عامّيّة واحدة، فالعامّيّة في لبنان ليست واحدة بل تختلف بين شارع وشارع وبضعة كيلومترات بين الجبل والساحل، وعلى مسافة بيوت أحيانا في قريتين متلاصقتين.

ففي زمن تسجيل الأصوات على حلقات باللغة العربية واكتساب المشاهد لغته وهو في بيته ، كانت اللغة تتردّد اكثر عبر وسائل الاعلام (الإذاعة والتلفاز) لكن مع سطو اللهجات وعالم الانتاج التسويقيّ لبيئات مختلفة تندسّ في البيئة اللبنانيّة رأينا الفصحى تندثر ما خلا نشرات الاخبار، والتي لا تكون بلغة الضاد كاملة الا في بعض المحطات المرئيّة (المنار) وفي الفضائيّات العربية بينما محليّا نجدها تنزاح عن الاساس بسبب عدم اعداد جيّد للمذيعات والمذيعين لغويا بل شكلا وقامة واداء جسد وما شابه . فمن المسؤول عمليّا داخل حرم المؤسسات والدولة اللبنانيّة؟

ب -3 الأخطاء والمسؤوليّة؟

-المسؤوليّة العامّة:

إذا توقفنا بإسهاب أمام المسؤوليّة العمليّة، وكي لا تُلقى التّهم جزافا فإنّنا لا يسعنا إلا المساءلة الهرميّة بدءا بالدولة وسياسيّيها (هم من يخطبون باللّغة ويشوّهونها)، ووزارة الثقافة حاضنة المعرفة اللغويّة ونتاجاتها، ووزارة التربية كما أسلفنا في توصيف دورها ضمن الواقع التربويّ، وصولا إلى وزارة الإعلام التي ما حمل حقيبتها وزير إلا واعتبر أن لا داعيَ لها. أيمكن تخيّلُ هذه المفارقة؟ وزراء يتسلمون حقيبة من السلف ويسلمونها إلى الخلف، ولا يؤمنون بجدواها في ظلّ عدم وجود نقابة للإعلاميّين تحميهم من غدر هذه المهنة وتفرض عليهم بالمقابل واجبات أداء مهنتهم وحماية لغتهم الأمّ من تقاريرهم ومراسلاتهم، فيما المجلس الوطني للاعلام لا يتخذ إجراءاتٍ للتطبيق بل للاعلان عن اجتماع، واذا ما اتخذ اجراء فيكون من الباب السياسي او الاخلاقيّ لتأديب محطة إعلاميّة على خطّها ونهجها ، أمّا اللغة العربية- وسيلة التعبير في الإعلام اللبناني- فلا يُعاقِب عليها هذا المجلس، أو ربّما لا ينتبه لفعاليّة دورها في إعلام لبنان.

أمّا إذا تساءلنا عن دور المؤسّسات الاعلامية فهي منشغلة بأمور كثيرة بدءا بالتنافس مرورا بالاستقصاء عن أسرار الدّولة والمجتمع وصولا الى برامج الواقع أو التسويق الاعلاني الخالي من المتابعة اللغويّة. دورٌ خالٍ من تكريس أيّ فريق عمل للمتابعة اللغويّة والتدقيق بها. ولمعلومات القارئ، أن بعض المحطات ينسى مسؤولوها اعتماد مدقق لغويّ ،كما لا تُعتمَد القواميس والمراجع اللغويّة من صرف ونحو والدّورات اللغويّة ضمن ميزانيّة المؤسّسة. وعليه، من السّهل فهمُ ما يحلّ في المطبخ الإعلاميّ الداخليّ وكيف تُقدّم المادّة اللغويّة على طبق من أخطاء ومجازر بحق اللّغة لكلّ مستمعّ ومشاهد .

بهذه الآليّة المتّبعة يُدرَك بالعين والأذن والعلَن تأثيرُ هذا الإعلام الأشدّ خطراً على اللغة لِما بدا فيها من فصحى مشوّهة، ملحونة، يجهل الناطقون بها في الاخبار والبرامج والتقارير والتوثيقات أبسط مبادئها تاركين للمتلقي إن كان ملمًّا بالحدّ الأدنى من اللغة- مهمّة تصحيح الأخطاء ليُلهوه عن المضمون والغاية والأساس من المادّة الإعلاميّة.

وفي هذا السّياق يؤكّد الكاتب الإعلاميّ رفيق نصرالله لمناسبة إحياء يوم اللغة العربيّة العالميّ في الألفين وثلاثة عشر "اننا نغتال اللغة العربية يوميّاً فتُعتمد المصطلحات الاجنبيّة على سبيل المثال في كل ما يتعلق

بالتكنولوجيا بدلا من الكلمات العربيّة، كما ان الرقابة على الاعلام سقطت تحت ضغط ما يُسمّى ب(الليبرالية الاعلامية)، وللأسف ان ثمانين في المئة من الوسائل الاعلامية لا تستعين بمدقّق لغوي لتصحيح الاخطاء اللغوية، كما ان اللغة العربية في ايامنا تقتصر على نشرات الاخبار والافلام الوثائقية وتغيب عن البرامج الأخرى". هذا الموقف أدلى به نصرالله على مسامع مسؤولين في الإعلام تقدّمهم وزير الإعلام ليؤكّد أنّ أزمة اللغة العربيّة في الإعلام لم تبق في حدود المشكلة بل تخطّتها الى الأزمة لا بسبب مرتكبيها فحسب بل بجُرم حماة مَن يخطئون في حق هذه اللّغة الأمّ، وانسحاب الأزمة على الأفراد في المؤسّسات الإعلاميّة جرّاء العدوى المستشرية من رأس الهرم الى أسفله.

-لمسؤوليّة الفرديّة:

تبدو المسؤوليّة الانحداريّة من سلّم الدولة والوزارة الى المجلس فَمسؤولِي المحطات فَمديري التحرير متسلسلة بشكل تراتبيّ حتّى وصولِها الى الاعلاميّ الفرد محرّرًا مذيعًا ومقدّمًا، وهؤلاء بلا شك هم الواجهة الأساس للمحطّة الإعلاميّة. وهنا تكمن المفارقة بين مذيع ومذيع بل مذيع ومذيعة، وبين محرّر وآخر ومندوب وزميله او زميلته، فالملاحظات ليست نفسها بل اللغة والمصطلحات مختلفة ، إذ بإمكان المتابع أن يسمع في المحطة نفسها كلمة "نُفايات" مرة بالضم ومرة بالكسر حسب من يقدّم النشرة، أو أن يلحظ أن هذا المحرّر يستخدم "وحدَه الجيش البناني مسؤول عن الامن" فيما محرّرة في اليوم التالي تتابع عنه الموضوع تقول بتباهٍ "وحُده الجيش"، رافعة ما يجب نصبُه، وعلى المشاهد الانتقاء بين الضمّ والفتح.
هذا الفيضُ يوازيهِ فيضٌ آخرُ ممّن يتشدّقون بأخطاء مضحِكة حتى البكاء كالممنوع من الصرف المنصوب دوما بالنسبة لمفهومهم المجتزأ حتى ولو حلّ مبتدأ. ؟ يا لَلعجب . وهمزة الفعل في المضارع تُقرأ بلا اعتبار لها شكلا ومعنى في الماضي بين: أبقى وبقيَ أي يُبقي ويَبقى ،واختلاف المعاني واضح هنا، فكيف بين فلح أرضَه وأفلح في اقناع الوزراء؟! إذ تجدها في المضارع عند الإعلاميين المستعجِلين دوما يَفلح في اقناعهم عوضا عن يُفلح... والطامة الصغرى في عطف كلمتين لمضاف إليه : رئيسُ ووزراء الحكومة، أمّا الكبرى فبتشكيل نعت المضاف كالمضاف إليه: بنودُ الدستور (الكثيرةِ) وهي هنا (الكثيرةُ) حكما. وطامَة الطامات، اعتبار غيرِ العاقل او الجماد خارجَ معادلة الفاعل: يحق لك التصويتَ وليس التصويتُ، بل عندما تسمع مندوبا يطالعك بتقرير مباشر: دخلوا الوزراءَ كلّهم، مرتكبًا ثلاثة أخطاء في جملة واحدة ، بين فاعلين لفعل واحد ، ونصب الثاني لأنه على وزن فعلاء ، وتوكيد الفاعل بالنصب لأنه نصبَ الأوّل...وهكذا دواليك، الخطأ يولّد الخطأ حتى نمسيَ أمام سلسلة من الحماقات اللغويّة بل سُلالة إذا جاز التّعبير.

ومتى تركنا هؤلاء في غيّهم اللغويّ يطلّ علينا المترجمون في نقل مباشر لحوادث وقمم ومؤتمرات. ومع التقدير الكامل لجهدهم المثلث أي: التركيز والفهم والترجمة في اللحظة عينها، نستهجن أن يسذّجوا عملهم

ويختصروه بواجب النقل من لغة غربيّة الى عربيّة فحسب من دون التوقف عند في مفارقات هذه اللغة واختلاف المعنى باختلاف اللفظ وتبدّل الكلِم بحرف شدّة لا أكثر، مثلا: يلفظون موادَ بدلا من موادّ على وزن مفاعل، ويختلقون عبارة قدَر الإمكان بفتح الدال بدلا من تسكينها لإضفاء المعنى السليم وتمييز المصير من القدرة ، وتسمعهم يُغدقون عليك بمدّ الصوت والتأتاة لمحاولة ملء الفراغ مخترعين كلماتٍ وأصواتا غيرَ مفهومة منهم، فضلا عن كثافة: "الواو، وأو، وأيضا" في بداية الجملة، وإبعاد المسند عن المسند إليه أشواط عبارات، وتذكير المؤنث وتحديدا : البئر والإصبع وتأنيث المذكر وتحديدا المستشفى والكرسيّ والرفات...وما أكثرَ هذه الكلمات في التفجيرات و عمليّات الخطف شبه اليوميّة في لبنان، عدا عن تحويل المقصور الى المثنى بالتاء: فتسمع القوة العظمى يحوّلونها "القوّتان العُظمتان" بدلا من العُظميان، وجيدّ انهم لا يفتحون حرفَ العين!

ما تقدّم عيّنة بسيطة قليلة لا تكفي لنقل الاخطاء في الصرف والنحو، ولِما يكتنزه الإملاء من حشو حروف في غير مواضعها في انعكاس لواقع لا مسؤول تنامى مع الوقت، وأقصى أيّ مسؤوليّة عمّن يُصنّفون قدوة للناس القابعين في البيوت أو العابرين في الطريق. ولعلّ هذه الخفّة في الإعلام اللبنانيّ تقترنُ بلغة العولمة المضادّة "بين مزدوجين" للغة العربية إن كان من منبعها أو مصطلحاتها او حتى أهدافها، ما أخضعَ اللغة العربيّة في الإعلام لعمليّة تشريح مسيئة، وباتت للأسف مقصورة على نشرة الأخبار وبشكل جزئيّ أو انتقائيّ أو شخصيّ مثلما أسلفنا بين مذيع وآخر لتطغى البرامج المنسوخة الممسوخة والسهرات الهزليّة والحوارات المضحكة المبكية والمواضيع اللا ثقافية واللاتربويّة مقصِرة دور الشاشة على مرآة للتطوّر التقنيّ و لغة التشاد والتويتر وما شابه لجذب المشاهد، في حين نسمع عبر الإذاعة عبارات على غرار: رسائل أس أم أسيّة نسبة لل (س ام س) وقراءة بحرف لاتينيّ تفكّكها المذيعة في برامج تواصليّة مع المستمعين فتبدو لوقت مهجّئة، وتنسى أن مهمتها الأساس هي الأداء السليم والقراءة المنسابة على مسامع المستمعين.

هذا التحوّل المتردّي لا يرفع منه ولا ينتشله من كبوته وجود حفنة إعلاميّة وفيّة للّغة ، وبرامج على هامش البرامج ونشرات إخباريّة حاول بعض المحطات قبل خمس عشرة سنة أن يعتمد اللبنانيّة المحليّة لغتها الاساس ولم ينجح ، وفي هذا الإطار كتب **الدكتور جوزيف الياس** (14) **"للسماع في اللغة العربية مزالق تقودنا من ضعف الى ضعف وتفرض على لغة الضاد التراجع تلو التراجع أمام هجمة العامّيّة "** . ومن أسباب هذا التحوّل شبهُ انعدامِ اللغويين ما خلا حاملي ماضيهم على أكتاف أقلامهم كما كانت بداياتُ الإعلام في مطلع القرن العشرين حين كان أهل اللغة يكتبون ولاحقا يذيعون ويخطبون فالصحافيّ هو أساسًا الأديب أو الشاعر أو المؤرّخ أو الأستاذ المدرسيّ ، وتلك النخبة تدفعنا حُكمًا إلى تصويب الأخطاء والاقتداء باللامعين والملتزمين لغويًّا.

-الاقتداء بإعلام لبنان المسؤول:

إعلام الخمسينات والستينات من إذاعة الشرق ولبنان تميّز بتضمين النشرة لغة ممهورة بأيدي كبار من أهل الإعلام ، ولم تُبَث فيه شبكة برامج إلا وتضمّنت محطاتٍ ومفاصلَ ووقفاتٍ إعلامية بالفصحى توثيقا وتمثيلا وحوارا، وإن أتى بعضها بالعاميّة فهو العاميّة الملحقة بالفصحى، وليس الفصحى الملحقة بعاميّةٍ لا توافُقَ حول لهجتها ولا توحيد للفظها ومفرداتها ومعاجمها.

لبنانُ الإعلام اللغوي هو إذاعة **"صوت لبنان" (15)** بتاريخها التليد القديم حين كان الخطأ لا مكان له، والمذيع يتدرّب ويخضع لاختبارات ليطل تدريجًا من الليل حتى الظهر حتى فترة الصباح الاذاعي، وليبدأ بقول: هنا صوت لبنان قبل قراءة موجز فنشرة إخباريّة ثم المشاركة في حوارات ، وهذا كله بإشراف نخبة من المدرّبين في طليعتهم الراحل الأستاذ عمر الزين مدرّب أجيال من الاعلاميين بين الستين والألفين وهو لم يكن عمله محصورا بحدود لبنان بل امتدّ الى المنطقة العربيّة وقد استضافته دبي في زيارات عمل إعلاميّة تدريبيّة لمعرفتها بأهميّة أدائه ولفظه ولغته.

والكلام على اللغة توأمُه الحديث عن أدائها والنطق بها والتفرّدِ في إرسالها برفعة ومخارجِ حروف سليمة واعتناء بالأصوات القصيرة والطويلة، والهمز والقطع، والتفخيم والترقيق، والقلقلة والإدغام . وهي عناصر لا يجوز التغاضي عنها في الإعلام بشقّيه المسموع والمرئيّ، بيدَ أنّ الأداء بلغَ دركا وانحدارا مع طغيان الصورة التلفيزيونية واختيار المذيعات من غير أن يخضعن لدورة في فنّ الأداء . هذا الخطّ الملتوي مع اللغة في الإعلام إمتدّ ليشمل المسموع حيث لم تعد لغة التواصل ترقى الى أذن المستع وقلبه بغعل لهجات ونغمات إذاعيّة مغناج مطلوبة من المقدّمين والمقدمات، وألفاظ معلّبة معولَمة نأنف ذكرها هنا نتيجة لاندلاع ثورة الإعلام ال"إنترنتي" التي قلبت المقاييس عندما أصابت الإعلام المسموع بعد الإعلام المرئيّ، فكانت الفضيحة الكبرى لأنّ الرّهان على الإذاعة كان بمثابة خشبة الخلاص من الغرق في بحر مخضّب بلون الأخطاء الأحمر القاني، وفي هذا الصدد يعوّل الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر على عالم الإذاعة (16) " **يبرز الإعلام المسموع في تطوير اللُّغة من خلال البرامج المختلفة ذات الجماهيرية الواسعة، حيث قد يؤثِّر برنامج إذاعي يُقدَّم في دقائق معدودة ما لا تؤثِّره عشرات الكتب، فلا شك أنَّ للكلمة المسموعة ما ليس للمكتوبة من التأثير؛ لسهولة متابعتها، وعدم احتياج الناس معها إلى مهارة القراءة.**"

كلام عبد العظيم يعيدنا في لبنان الى الاعلاميَين الراحليَن المعلّم رياض شرارة وأميغو العرب " حكمت وهبه" والإعلاميّتين المعاصرتين في أوروبا غابي لطيف وميرللا يزبك ، وما حقّقوه ليس بلغتهم فحسب بل بأدائهم العالي من جذب للناس الى اللغة العربيّة حتى لو قدّموها بالعاميّة فإنّ أصداء الفصحى تلفحها لفحا نسيميّا رقيقا راقيا، عدا عن فضلهم في نقل اللغة العربيّة الى العالم الغربيّ بلا تلكّؤ وبفخر.

فهل يُفترض توصيفُ الواقع المستجدّ بالضعف هذا أم عدم قدرة على استيعاب عناصر لغويّة يُعذَر من لا يستخدمها في عمله وليس مَن تكون اللغة مكوّن ادائه وسبب عمله ومورد رزقه؟ .لا. هذا استخفاف يخالونه استعلاء على اللغة إنما هو حطّ من قيمة المرء قبل اللغة، فاللغة بخير أساسا لأنها هي هي، أما الناس فهم مَن يُسيئون استخدامها، والناس خلاصة أمّة، أَوَطنا شكّلوا أم مجموعة أوطان، وفي لبنان أمّة لبنانيّة وطنيّة نشأت على لغة عربيّة مع مفكّريها وصحافييها الاوائل : غسان تويني، كامل مروّة، سليم اللوزي، رياض طه، إميلي نصرالله، ونستذكر هنا الشهيد الفيلسوف **كمال الحاج (17)** باعتناقه اللغة العربيّة نقطة انطلاق لفكره ومدرسته الفلسفيّة "النصلاميّة " جامعا بالحروف النصارى والإسلام وفي قوله: **نحن نقول بأن العامية فصيلة لسانية قائمة بذاتها، هي لنوع خاص من حياة الوجدان، لها نظامها الصوتي والتركيبي، لها مفرداتها واقتباساتها وقياساتها أيضاً، ونقول في الوقت ذاته بأن الفصحى فصيلة لسانية قائمة بذاتها، هي لنوع خاص من حياة الوجدان لها نظامها الصوتي والتركيبي. ومن الخطأ جداً أن نُرجع إحداهما إلى الثانية".**

وقد يكمن الخطأ الأكبر في التمادي بالتجاذب باللغة بين طرفَين نقيضَين: القدامى الملتزمون والمتشدّدون حيال لغة يصونونها من أيّ تعيدل وتليين، والجدد الطارئون الماضون في تهشيم اللغة وإخضاع مبادئها لقياسهم لا لقياسها ، وهذا ما اوضحه الدكتور محمّد العدناني **(18) : " لا نرضى أن نبقى في المكان اللغويّ الذي وضعنا فيه أئمة اللغة من أجدادنا بالأمس لأن قوانين الطبيعة والاجتماع تفرض علينا أن نكون امّة نسير إلى الأمام وأن تكون عقولنا أكثر نضجا من عقول أسلافنا وأكثر استيعابا للمعرفة حتى إذا وجدنا عقبة ازلناها لتصبح طرقنا اللغويّة معبّدة ، واللغات الحيّة، كاللغة العربيّة، تحتاج الى قليل من التهذيب لمسايرة العصر الذي تعيش فيه".**

ثانيًا- المقترحات والحلول:

ممّا تقدّم في الفصل الأوّل نجدنا أمام معضلة بشريّة قبل تسميتها أزمة لغويّة. مجتمع لبنانيّ في إطار عربيّ جغرافيّا وإطار غربي إقتصاديا، وإطار خليط من هنا وهناك سياسيا. فالغزو السياسيّ والفكري الاقتصاديّ يحاول جذب لبنان الى خصوصيّاته مستخدمًا لغاته وأدواته وصناعاته وأمواله حتى باتت الشاشات لا تسمّى بالعربيّة وشركات الإعلانات أسماؤها اجنبيّة ومواقع التواصل حروفها لاتينيّة لا تمت الى العربيّة والجالس في بيته ينتظر من مجامع اللغة العربيّة ومجالسها التحرّك ليشعر بأن اللغة العربيّة بحاجة إليه وهو بحاجة إليها.

واضح وجليّ صعوبة التعامل مع لغة لم يتبدّل فيها حرف منذ عقود وقرون ، وليتمّ التعامل معها وتوطيد العلاقة بها، وجب علينا إعادة مناقشة جذرها واصلها والتمهيد لفروع وجذوع تنبت فيها ولا تنفصم عنها وأستشهد هنا بما يكتبه الد. عبد العظيم (19) **:" نعلم جيّدا تمام العلم وجوب التوقف عند ما يعانيه العلماء والمترجمون عندما يقصدون إلى التعبير الصحيح، وإن الأمر اللغوي يقتضي جهدًا كبيرًا في سبيل تطويع اللُّغة للوفاء بحاجة هؤلاء وأولئك، وهذا يلقي عبئًا كبيرًا على كاهل العلماء واللغويين لتحقيق هذا الهدف "**

إنّ التقصير من أهل اللغة أصعب وأقسى من تقصير المعتدين عليها. التطويع وليس التليين، والتعديل وليس التغيير . وإيجاد حلول للألفاظ الغربيّة (الغريبة) وأهمّها ما نسمعه عن وسائل التواصل وتسميتها العلم، وما ينتج عن هذه الشبكات من ألفاظ لم تلق لها منزلة في اللغة العربيّة بعد. ويشير مجمع اللغة العربيّة (20) " **اللغة جديرة بأن تستعيد مجدها، وليس في طبيعتها ما يعوّق مطلقاً من دون أن تؤدي كل متطلبات العلم والحضارة، ومنذ النصف الأخير من القرن الماضي أخذت تجدّد نشاطها وتتدارك ما فاتها، وحظيت أخيراً بإنتاج وفير ومتنوع."**

وحتى لا نستمرّ في البحث عن الأخطاء وأسبابها ننتقل في بحثنا هذا إلى جملة اقتراحات قد تكون الباب لحلّ معضلة الإعلام واللغة، ففي الأساس يفترض أن لا تنشأ بين اللغة والإعلام معضلة كونهما واحدا ، فاللغة علم وتعلّم وإعلام بالنص، ومن دونها لا يُبنى نص ، والإعلام يعلّم ويخبر ويرسل الكلام فكيف يتمّ الفصل بين اللغة والإعلام واعتبار كلّ منهما عالمًا بذاته؟ إنه انفصامٌ لا بدّ من لملمة جزءَيه وتركيب ما تفكّك منه لإعادة هيكليّة اللغة الى حرمِها الأساس فنكون نحن إعلاميين وكتّابا وبحّاثة ومربّين خشوعا في حرمها .

وعليه، أمام كلّ ما ذُكِر سلبًا وإيجابا ومن محاولات دكّ معالم لغة أُنزِلت قرآنا وارتفعت في أرض العرب سماء ولوّنت قصائدهم وجمّلت مجالسهم وتحوّلت ركيزة يومية ومسائيّة في الأخبار وصباحيّة في الجرائد ويومية عبر أثير الإذاعات. أمامَها، نحاول أن نصوّب خللا ، وأن نوجّه مسارا تسير فيه وبخطين متوازيين: اللغة والإعلام، الناطقون بها والمتخصّصون ، والناس والإعلاميون ، أي وفي درجة أولى باعتماد حلّ وسط ملائم لحرب باردة بين اللغة واهلها، بين العربيّة واللغات الوافدة، بين أمّات الكتب المخطوطات من جهة، وشاشات الكمبيوتر وشبكات التواصل وانقراض لغة القلم و تقرُّحِ الحبر من جهة أخرى.

ومن جملة ما نقترح:

أوّلا: خلق فرصة جديدة للّغة العربيّة، إذ من حق هذه اللغة عمليًّا منحها فرصة التآلف والتوافق مع حاجاتنا الإعلاميّة ، وذلك باعتماد قاموس جديد للغة العربيّة في الإعلام يشكّل مرجعًا للإعلاميين ، فيُمَدّ الإعلاميّون بمرجع يناسب معاجم اللحظة الإعلاميّة، وبألفاظ غير معرّبة إنما عربيّة تناسب معاني العناصر الدخيلة على مجتمعاتنا، وهذا موضوع يتطلب من المجلس الدولي انتداب مندوبين أو ثلاثة من كل بلد تختارهم الجامعات او وزارات الإعلام للتوصّل الى وضع معجم يحرّك ركود اللغة إزاء هجمة اللغات الأخرى ولغات التواصل واعتباره مقياسا لعمل الإعلاميّ يعود إليه في مواضيعه وتحريره وما يتقدّم به على الهواء .

ثانيا: إعتماد كلّ دولة عربيّة مشارِكة في هذا المؤتمر مجلسًا يعتبر ابن هذا المجلس، وليدًا متفرّعًا منه ، له الكلمة الفصل في العلاقة مع وزارات الإعلام ، ومع وزارات التربية والثقافة، تعمل على إصدارات لغوية مواكبة لأهل الإعلام مع تخصيص جوائز لأفضل مذيعات ومذيعين ومحرّرين من باب اللغة والأداء وتحفزّهم على اللغة العربيّة.

ثالثا: تمويلُ المجلس الدوليّ عبر رعايات مصرفيّة ومجالس إقتصاديّة برامج للغة العربيّة بدءا بإعادة التمثيل بالفصحى للإعلام، مرورا ببرامج التباري بين الجامعات والمدارس عبر الإعلام، وبإحياء يوم اللغة العربية بنشاطات بالفصحى عبر الوسائل الإعلاميّة.

رابعا: إخضاع الإعلاميين لدورات سنويّة ومختلفة المضامين تِبعا لسني انتمائهم الى الإعلام ، من باب التذكير لا الاختبار فحسب واعتماد مداورة في الدورات لمختلف المدرّبين (لغة، اداء، تحرير، حوارات) حتى تتنوع اللغة في المجال الإعلامي.

خامسا: إعتماد آليّة واضحة تتيح للمتخرّجين في كلّيّات الإعلام الانتقال الى الوسائل الإعلاميّة بعد مرورهم باللجنة الفاحصة- المجلس – للوقوف على لغتهم في حال ينشدون الالتحاق بالتحرير أو تقديم النشرات أو البرامج او إدارة ندوات ، وعدم توظيفهم الا بموافقة مبدئيّة على صلاحيّة هذا الدور.

سادسا: توظيف المجلس الدولي دورَه في تحفيز وسائل الإعلام لإعادة إنتاج المسلسلات المصوّرة ، وفقرات تعنى بالاطفال والشبيبة ليعتاد مَن في بيوتهم على سماع الفصحى وتلقّيها منذ الصغر كما هو الواقع مع اللغات الأخرى.

سابعًا: التوّصلّ إلى صيغة عبر آليّة الممكن لفرض عدد معيّن من ساعات البث بالفصحى تلتزمها المحطات (المسوعة والمرئيّة) على غرار خضوعها لدفتر شروط الإعلام لجهة ساعات المسلسلات المحلّيّة والبرامج السياسيّة والفنيّة.

ثامنًا: إعتبارُ الثقافة للنخبة والعامّة على حدّ سواء حاجة لا ترفًا، وفتح نقاش مع وزارات الإعلام والثقافة للترويج لها في الإعلام ببرامج منوّعة مباشرة ، قصصيّة، تاريخيّة غير محصورة بالفضائيّات الإخباريّة بل معمّمة على الشبكات الإعلاميّة الأخرى.

تاسعًا: تحضيرُ المجلس الدوليّ للّغة العربيّة بالتعاون مع سائر المنظّمات المهتمّة باللغة الأمّ شبكةً إعلاميّة موحّدة ، تتضمّن المكتوب والمسوع والمرئيّ فضلا عن الالكترونيّ وتأمين الدّعم المادّي لها من الدول العربيّة ن وصرف الأموال اللازمة لإنتاجٍ أدبيّ ثقافيّ لغويّ تتولاه مجموعة من الإعلاميين المحترفين والمسؤولين والباحثين والكتّاب تمهيدًا لإطلاق : مدينة اللغة العربيّة للإعلام.

عاشرًا: عقدُ مؤتمر اللغة العربيّة هذا ، كلّ عام في بلد من البلدان العربيّة مداورة، حرصًا على التآخي وإفساحا في المجال لشعب كلّ دولة بالشعور بخصوصيّته مع اللغة ولمس أهميّتها عن كثب.

أحدَ عشر: تخصيص جوائز سنويّة لأفضل مذيع (مذيعة) تلفيزيونيّ يقرأ الفصحى السليمة، والأمر نفسه لأفضل مذيع (مذيعة) إذاعيّ ، لأفضل مندوب (مندوبة) يغطّي الحوادث بلغة صحيحة سليمة ، ولأفضل مقال بلغة عربيّة راقية ومتينة، وأفضل طالب إعلام حقق بحثا أو مادّة مسموعة او مصوّرة بلغة خالية من الأخطاء.

خاتمة:

هذه الاقتراحات يمكن بلورتُها ووضعُها في نطاق الواقع والحقيقة إذا ما تحققت لها لغة مجلسيّة واحدة تحاكي اللغة العربيّة الموحِّدة العرب أينما حلّت في لبنان وخارجه وجواره. إقتراحاتٌ ليست الا وليدة حاجة ماسّة للنهوض بلغة الأندلس وبغداد والشام و الصحراء ، ولغة هذه العاصمة كما لغة لبنان، أصل بحثنا اللغويّ - الإعلاميّ هذا ، من غير أن ننسى أنّ جمال اللغة لا يخبو ، وتعلّمها سهل ممتنع، واكتسابها دهشة تعبيريّة في لمس الحروف والنطق بها وبأصواتها. وفي تعبير لغويّ تقعيديّ لذوّاقة من لبنان هو الكاتب الأديب **سمير عطا الله** (21)يرى : **"إن اللغة العربية في حركة صغيرة تعطي الكلمة الواحدة ألف لون ولون، وألف معنى ومعنى، فإذا كانت اللغات العريقة قد تطورت إلى ما تعرف الآن من رقي في التعبير، فإن اللغة العربية تظل ملكة اللغات كمثل ملكة النحل في عالم القفير... ففي أية لغة أخرى في الكون (غير العربية) يقال مثلاً : "امرأة حامل ؟" لأن الرجل لا يشاركها في حمل البطن، في حين يقال : "امرأة حاملة" إذا حملت شيئاً على رأسها أو ظهرها، لأن الرجل يشاركها آنذاك في مثل هذه الحمولات !؟**

وتعقيبًا نشير إلى أننا في **الجامعة الأنطونيّة (22)-** لبنان، التي نمثل هَهنا، وتحديدا في كلّية الإعلام، أحيَينا يومَ اللغة العربيّة للعام ألفين وثلاثة عشر بمبارا ة إملاء جمعتِ الأوائل من المدارس ونخبة من المفكرين والصحافيين التواقين الى اللغة، وقد تولّت **المؤسّسة اللبنانيّة للإرسال** نقل هذا الحدث الثقافيّ – الإعلاميّ مباشرة على هواء قناتهاوتابع المشاهدون النص في بيوتهم ولقيت المباراة أصداءها الطيّبة. إنّ لَهذه علامة إيجابيّة تُسجّل للإعلام في هذا الزمن وتدلّل على أنّ المشاهد يتشوّق لمتابعة برامج ومحطات استثنائيّة تُعنى باللغة العربيّة، وهو ما يشكّل نقيضًا لحججٍ إعلاميّة واهية بأنّ اللغة العربيّة وثقافتَها لا مشاهدين لهما، ولذرائعَ يسوقها المسؤولون في الإعلام بوجوب تأمين الرّاعي المادّيّ لبث هذا النوع من البرامج.

يبقى أملُنا كبيرًا أن تأخذ هذه النوعيّة من الوقفات الإعلاميّة مكانته ومساحتها في الإعلام اللبنانيّ لتعزّزَ صورة اللغة وصوتَها وتعيدَ جمعَ ما تفرّق وتشتّت منها، لعلّنا نغزل جمالها في لقاءات إعلاميّة نستعيد من خلالها الثقة بلغتنا الضاربة وسع الصحراء والجُزر والعالم، ونشرع بفتح آفاق جديدة لها ولنا دونَما أيّ حاجة لمراعاة ما يشتهيه الغرب في لغتنا بل لمواكبة ما يلزم الشرق تعبيرًا وجمالا لغويًّا تحاكيه وسائل الإعلام لعلّ، كما سطّر الأديب اللبنانيّ ميخائيل نعيمه بحثه عن التلاقح بين الشرق والغرب، يدور الفلك هذه المرّة دوراته ويأخذ الشرق على عاتقه إعطاء الغرب لا الأخذ منه، وأوّل ما يمنحه بنسخة أصيلة لا لُبسَ فيها: اللّغة العربيّة.

الإعلاميّ بسّام برّاك

منسّق اللّغة العربيّة في الجامعة الأنطونيّة / كلّيّة الإعلام والتّواصل

حاشية:

1-الرّابطة القلميّة: تأسّست عام 1920 في نيويورك بعمادة جبران خليل جبران وعضويّة أبرز شعراء النّهضة بينهم ميخائيل نعيمه، إيليا أبو ماضي.

2-العصبة الأندلسيّة: تأسّست عام 1932 في ساو باولو- البرازيل بعمادة الشاعر ميشال المعلوف.

3-الدكتورة مريم حمزة: بحث في اللّغة العربيّة: اللّغة العربيّة في لبنان واقع ومُرتجى، 2010

4-يوهان فيشته: فيلسوف ألمانيّ (1762-1814).

5- جبران مسعود: العربيّة الفصحى شعلة لا تنطفئ، بيروت، بيت الحكمة، 2001 ص:

-6-الثعالبي: مؤرّخ عبّاسيّ، **(962م-1038م)**، فقه اللغة وسرّ العربيّة، مكتبة لبنان ناشرون، المقدّمة.

7-الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب، كاتب –ناقد عبّاسيّ، (775-896).

8-نازك الملائكة: شاعرة- ناقدة عراقيّة (1923-2007)، قضايا الشعر المعاصر، 1962

9- فهمي هويدي: كاتب ومفكّر إسلاميّ، واقع اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام (أسس إعداد موادّ اللغة العربيّة وتأليفها)، 2010.

10- مريم حمزة، م.ن (رقم4)

11- إبراهيم اليازجي: العلامة اللّغوي (1874-1906) " اللّغة والعصر"، مجلّة البيان1897

12-الرّحابنة: المثلّث الرّحبانيّ : عاصي 1923- 1986، منصور (1925-2009) الفنّانة فيروز (1935-....)

13--محمّد العدناني: معجم الأخطاء الشّائعة، بيروت، مكتبة لبنان، المقدّمة.

14- د.جوزيف الياس: " لغة الإعلام المرئيّ والمسموع"، بحث مُدرَج ضمن صفحته الالكترونيّة الخاصّة.

15-صوت لبنان: إذاعة لبنانيّة تأسّست للمرّة الأولى عام 1958 لفترة وجيزة مع الإعلاميّ الاستاذ جوزيف أبو خليل، ثمّ أطلقت رسميّا عام 1976 إبّان الحرب الأهليّة اللبنانيّة.

16: د. صالح عبد العظيم الشاعر، دور الإذاعة والصحافة في النهوض باللغة وتطويرها. 2012

17-كمال يوسف الحاج: فيلسوف لبناني سقط شهيد كتاباته ولغته (1917-1976)، فلسفة اللغة، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1956، ص 257.

18-محمّد العدناني: م.ن. (رقم 13)

19-د.صالح عبد العظيم: م.ن (رقم 16)

20-مجمع اللّغة العربيّة: الدورة الثانية والأربعون، القاهرة، عام 1976

21-سمير عطاالله: كاتب لبنانيّ، مؤلّف كتابات قصصيّة تاريخيّة، كاتب مقالات في صحيفتي" النهار" و"الشرق الأوسط" .

22-الجامعة الأنطونيّة: جامعة خاصّة تأسّست بمرسوم رسميّ لبنانيّ عام 1996.

23—المؤسّسة اللّبنانيّة للإرسال، محطّة إعلاميّة مرئيّة رائدة في لبنان تأسّست عام 1984